الحضور و الأنثلجنسيا في الشخصية الروائية الجزائرية المعاصرة

– صراع المثقف في الرواية–

د/توفيق قحام

جامعة محمد الصديق بن يحي/جيجل

1–مفاهيم اصطلاحية:

1-1- في مفهوم الثقافة:

داخل مفهوم الثقافة يتشكل لنا دائما ذلك الزخم الفكري والمعرفي المتصل بالجماعة، والذي يحدد مدى وعي هذه الأخيرة بالمستجدات الحاصلة والموروثات الماضية، حيث الدقة والصلابة والتركيز، بل وحتى الإنتاج؛ لأن الحافز المتصل بالثقافة التاريخية هو دافع من دوافع الإنتاج الفكري والمادي، ولهذا فالمتأمل للجذور المعجمية لمصطلح الثقافة يجد أنه من "ثقفت الرمح" أي: قومته فجعلته في أحسن حالة وأحسن صورة، ونقول "ثقف الشيء إذا أدركه وحذقه ومهر فيه، والتثقيف هو الفطين وثقف الكلام فهمه بسرعة، ويوصف الرجل الذكي بأنه (ثقف)... وثقف الرجل ثقافة أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه"(1). فالثبات صفة من صفات الثقافة، وهو متعلق بالعلم والدراية و المراس، وكل ما من شأنه المساعدة في تحقيق الغايات والمقاصد.

والملاحظ في مصطلح الثقافة أنه تعبير عن ظاهرة إنسانية بامتياز؛ لأنه مرتبط بالفكر والوجدان، فهو "مسعى بشري، فكري ووجداني، قابل للتطور والتجدد والارتقاء، وصفة تكتسب بالتمرين والممارسة"(2)؛ أي أن الثقافة ليست وعيا بالثابت بقدر ما هي وعي بالمتغير والمتطور عبر مراحل متعاقبة، كما هي اكتساب ناتج عن القراءة والممارسة اليومية للشعوب، حيث يرى "إبراهيم محمد عبد الباقي" أن اكتساب الثقافة والوعي بها يكون عن قصد، أو عن غير قصد، وذلك باستيعاب المبتكرات الحاصلة، إذ"تشمل (الثقافة) كل ما يكّون العقل، ويربي الذهن، ويهذب الطبع، ويقوم السلوك، مما يتداوله الناس فرادى وجماعات، بوعي وقصد أو بدونهما من مبتكرات الحياة المتجددة باستمرار، ومن شتى أنواع التراث المتمثل في الآثار العمرانية والمبدعات الشعبية، والقيم الراسخة والعادات والتقاليد وما إليها من مشاعر وأحاسيس، تكيّف الذات وتميز الهوية"(3).

وهنا يمكن القول أن الثقافة لها ارتباط مباشر وصريح بالهوية، وذلك من خلال بلورة وجود هذه الأخيرة وفصلها عن بقية الهويات، كما أنها معيار من معايير تحديد العلاقة بين الأنا والآخر، يضاف إليها إحداث الزخم المعرفي المثري للذاكرة الفردية والجماعية، فهي عملية نوعية لتهذيب السلوك وتفعيل الممارسة الحياتية، وكذا مجابهة كل الوقائع اليومية التي من شأنها تحريك القدرة الفكرية للفرد المثقف، ولعل هذا الأخير (الفرد المثقف) يطرح تساؤلا جوهريا حول ماهيتة، ومتى يكون كذلك (مثقفا)؟. وما هي دلالة حضوره في الحياة اليومية الجماعية، والممارسة الإبداعية الأدبية؟، وهل للأنثروبولوجيا دور في فهم واستيعاب الحفريات الثقافية للشخصية؟. لا يمكن الانطلاق في البحث إلا من خلال تعريف المثقف والوقوف على أهم خصائصه التركيبية.

1-2-مفهوم المثقف:

من هو المثقف؟. وأنا أفتش وأبحث في جيوب الفكر واللغة عن مفهوم دقيق ومبسط لمصطلح المثقف، لم أستقر على رؤية صائبة يمكنها أن تحتوي معنى هذه الكلمة، إلا بعد أن عثرت على مفهوم اقل ما يقال عنه أنه كان بسيطا وراقيا، جمع كل الناس تحت هذا المصطلح، وهو تعريف المفكر الإيطالي"أنطونيو غرامشي"GRAMSCI antonio (1891-1937) الذي يقول فيه:"كل إنسان مثقف وإن لم تكن الثقافة مهنة له"(4). حيث استطاع تجاوز كل المطروحات الفكرية والفلسفية التي ربطته بمرجعيات تعليمية أو سياسية أو اجتماعية أو وظيفية، و التي كان من أبرزها تلك التي قدمها "ماكس فيبر"MAX weber عندما قصر مفهوم المثقف في ذلك "المفكر المسلح بالبصيرة"(5).أو تلك التي قدمها "جون بول سارتر"و التي تعتبره ذلك "العا لم الذي يخرج باهتماماته وعمله من حدود عمله المتخصص إلى آفاق المصالح الإنسانية المشتركة"(6).

فإذا كانت أغلب التعارف ركزت اهتمامها على الحضور النوعي للفكر و الحضور الكمي للمعارف مثلما هو الحال في تعريف "فيبر" و"سارتر"، فإن تعريف "غرامشي" قد اهتم بوعي الإنسان وإدراكه للمعارف بمختلف أشكالها من خلال القول بأن كل إنسان مثقف، ولعل هذا هو الأصل بحكم أن كل إنسان يملك معارف خاصة تجعله على مستوى من الثقافة، هذه الأخيرة التي –كما أسلفنا ذكرا – تعتبر من مشَكِّلات الهوية، حيث يتداخل المثقف العام بالمثقف الخاص لتتلاشى الحدود والفوارق الكبرى، ويحل محلها الإنسان العاقل، ويمكننا القول حينها أن المثقف هو

ذلك الإنسان الواعي بخصائص وجوده وخصائص فكره في علاقته بالآخر؛ ولذلك فهو يدرك الهوية من خلال الوعي الثقافي الذي يمثل المعرفة والإدراك في أبسط تجلياته.

وليس هذا التقارب بين العام والخاص من أجل المساواة التامة بين النوعين- لأن التجاوز حاصل- بل لإثبات حضور كل الفئات بوعيها الخاص، لأننا عندما نتحول إلى المثقف الخاص نجده ذلك الإنسان المفكر المبدع والمنتج، والمتشبع بالروح الإيديولوجية والفلسفية والاجتماعية الخالصة، والتي من شأنها تفسير الحوادث العميقة التي يصعب على المثقف العامي الخوض فيها وتفكيك جزئياتها، ولهذا فكثيرا ما شكل المثقف الأول نقطة تصادم مع السلطة السياسية الحاكمة نتيجة التعارض الإيديولوجي الذي يختاره كل طرف، وهي ثنائية مفصلية في حفظ الهوية الجماعية للأمة؛ لأن مصدر التوجه الإيديولوجي هو من يحدد نهاية الطريق، والمثقف الخاص أو المنتج يستطيع استيعاب ما حوله وإحداث قوة المشاركة مع جميع الأطراف، مما يجعله شخصية غير مرغوب فيها عند بعض الفئات النفعية.

وإذا بحثنا أكثر في أعماق المثقف العربي الخاص في علاقته بالسلطة السياسية، فإننا سنجده لا محالة يعيش حالة من الصراع والألم النابع من استيعابه للواقع الاجتماعي المتفكك من جهة، ولرفضه المطلق لكل المحاولات الظاهرة والخفية من أجل تشتيت الهوية وطمسها بقوة الحضارة والتمدن من جهة أخرى، والتي فرضتها ثقافة التغريب باسم النهضة العربية المزعومة،.إنها محنة الهوية التي انسلخ منها الفرد العربي أو (المثقف الأفقي) كما أسميه، وتجرد من مقوماتها فصار حاله كحال" الثعبان المصروع ، يكابد عسر تغيير جلده"(7)، ولا سبيل للخروج من عنق الزجاجة التي وضعنا الآخر فيها- كما يرى الروائي الجزائري الطاهر وطار -إلا بإرادة صلبة فولاذية تعيدنا لأصولنا وتجعلنا نتشبث بجذورنا وانتمائنا العربي الأصيل وبذلك نستعيد هويتنا وثقافتنا المصادرة، ولعل هذا ما جعل الكتابة الروائية هذا المبدع تتسم بثقافة الشخصية وتمكنها من استيعاب الأنا والإحاطة بالآخر، تماما مثلما حضرت شخصية اللاز في روايته، لتبين مدى وعي الشخصية الجزائرية بالأبعاد الفكرية والانتمائية التي تنتمي إليها، فبطل رواية "اللاز" جمع بين الوطنية والدين والجماعة والأرض، تماما مثلما جمعت "نفيسة" بطلة الروائي "عبد الحميد بن هدوقة" في رواية "ريح الجنوب" عندما تشبثت بأرضها وأخلصت لحبها فقاومت كل محاولات القهر والاغتصاب والسيطرة التي مارسها الإقطاعيون.

ويمكن القول أن حضور المثقف في الرواية عامة والجزائرية خاصة، تجلى من خلال ثلاثة أنواع للشخصية: **الراوي** / **البطل** / **الشخصية المساعدة**، فإذا ما غصنا في المستوى الثقافي الذي تقدمه أو تحمله هذه الشخصيات في النص الإبداعي، فإننا نجدها تتفاوت بحسب الحضور والغياب والقيمة والدور، والكم والكيف، لكنها مكملة لبعضها البعض من ناحية الأثر والدلالة، وهذا تجسيدا لمقولة كل شخص مثقف، وكل مثقف في حاجة إلى ماض وحاضر ومستقبل، والأكيد أن هذه الأزمنة لا تتحقق وحدها إلا إذا ارتبطت بمثقفين، ومعناه أن المثقف يوجد بالجماعة وللجماعة؛ لأنه متعاون وفاعل في حركية المثاقفة، وهذا ما تفطن له الروائي، فعمل على استحضاره في نسيجه الإبداعي، محاولا التملص من ذاتيته، وإعطاء الشخصية هامشا من الحرية أو المناورة الفكرية المفضية إلى الإقناع.

2- صوت شخصية المثقف المنتج (المثقف العربي النخبوي):

من خلال ضبطنا لمفهوم المثقف توصلنا إلى أنه شخصية مادية ومعنوية في الآن ذاته، فهو يحمل في داخله مكوناته الفردية المادية، تماما مثلما يحمل معه الذات المعنوية للجماعية، ولهذا فالدارس للثقافة يتعين عليه البدء بدراسة الشخصية من منطلقها الفكري والإبداعي، حيث "أكّدت معظم التعريفات التي تناولت مفهوم الثقافة، ارتباطها بشكل أساسي بالنتاجات / الإبداعية والفكرية / للإنسان. وهذا يعني أنّ الثقافة ظاهرة ملازمة للإنسان، باعتباره يمتلك اللغة، واللغة وعاء الفكر"(8)، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن دراسة ثقافة الشخصية في العمل الإبداعي يعتبر من صميم الأنثروبولوجيا النفسية، "التي ساعد ظهورها علماء النفس في الوصول إلى فهم أفضل للمبادئ التي تحكم تشكيل الشخصيّة، وأثار في الوقت ذاته اهتمام علماء الأنثروبولوجيا لدراسة الأنماط الأساسية للشخصيّة في المجتمعات المختلفة، قديمها وحديثها"(9)، وهو ما نجده في الكتابة الروائية بوجه خاص، حيث يتفاعل المبدع بين ثقافته الشخصية وثقافة الشخصيات الورقية، لينتج لنا نوعا من الأنثروبولوجيا الشخصية المتصلة بالسلوك والعادات و التقاليد والدين والسياسة والاجتماع و...

وهنا يمكن القول أن هوية المثقف العربي في بيئته خضعت إلى مرجعية إيديولوجية متصلة بالسلطة مباشرة، وهذا المستوى من الارتباط جعل الروائي العربي -الذي يتفرد بوعيه وإدراكه الإلزامي لما يدور حوله من ارتباط بالوجود وقيمته- سجين حدود تعبيرية معينة رغم شعوره بذاته

"كقوة قادرة على القيام بعمل متميز داخل البنى الاجتماعية"(10). فهو لا يستطيع التملص من الهواجس التي تطارد مخيلته، ولهذا " فغبن المثقفين الروائيين وجور وجبروت السلطان قائمان في صلب إشكالية الموروث العربي الإسلامي، وهما المنطلق الأساس لقراءة وفهم وتفسير هذا التراث"(11).فعلى هذا الأساس يجد المثقف العربي صعوبة في إبراز المتناقضات وترجيح الفكر على الآخر، وإذا ما تأملنا لأغلب الأعمال الإبداعية الروائية العربية، فإننا نلمح وجود (المثقف الروائي، ولا نلمح ا(لموقف) الروائي إلا من خلف الستار الذي يترائى من مكان سحيق، فهو محاكي لما هو كائن وليس لما يجب أن يكون، ولعل هذا هو لب الأزمة وعمق الهوية المنسي و المغيب، لأن الهوية يجب أن تؤخذ ككل متكامل و على كل المستويات خاصة الاجتماعية منها، فتتناول الجوانب المفصلية في حياة الجماعة و تقرر ما هو كائن وما يجب أن يكون، ويصنف الروائي ضمن النخبة المثقفة: التي تضم كبار الموظفين والكتاب ورجال العلم والفن، ويعتبر التفلسف سمة بارزة في هذه الفئة، فالمثقف النخبوي كما يقال عنه، هو ذلك الذي يختزل حقيقة الكون والإنسان في صيغة محكمة مترابطة، وتجلى هذا في البدايات الأولى للرواية العربية التي قامت على أساس مناهضة الصراع القائم بين الشرق والغرب، من خلال "عصفور من الشرق" لـ "توفيق الحكيم"، وثمة أسبابا أدت إلى اقتران بواكير الرواية العربية بالصدام الحضاري بين الشرق والغرب:

أولهما :أن الجنس الروائي جنس وافد من الغرب، وبحكم قانون التقليد الذي يحكم البدايات الأولى لكل فن، كان من الطبيعي أن يظهر الغرب كأحد المكونات الأساسية في الرواية العربية، فظهرت روايات عربية لها صبغة غربية، من حيث المكان والأشخاص، كرواية " نهم" ، لـ"شكيب الجابري"، التي وصَفتْ بأنها رواية غربية كتبت باللغة العربية.

وأما ثانيهما: فيرجع إلى أن الروائيين الأوائل كانوا طلاباً في جامعات الغرب، وعندما عادوا إلى بلدانهم، وأرادوا ممارسة كتابة الرواية وجدوا في الفترة التي قضوها في الغرب تجربة مؤثرة في رحلتهم الإبداعية فـ"الجابري "و"توفيق الحكيم "اللذين يعتبران رائدين للرواية التي رصدت العلاقة بين الشرق والغرب، درسا في الغرب،حيث درس الأول في ألمانيا، والثاني في فرنسا.

وثالثهما: الصراع التاريخي بين الشرق والغرب نتيجة أطماع التوسعية للغرب، حيث كانت أغلب الدول العربي ناقمة وتعيش تحت نير الاستعمار والهيمنة الإمبريالية الغربية، وهو ما عزز ثقافة الشرخ والقطيعة والمناهضة لكل ما هو غربي.

ولعله من هذا المنطلق تكشفت أزمة المثقف العربي عامة و الجزائري خاصة، حيث طفا إلى السطح ذلك الصراع و تلك الحرب الانتمائية التي تمارسها الدول العظمى، بغرض التأثير على ثقافة الفرد الآخر مستغلة في ذلك أسلوب السبق و الإبهار الحضاري، وكذا الشعارات الجمهورية.

فالدول الغربية تسعى بطرق جديدة إلى السيطرة على الهوية الشخصية للمجتمعات المتخلفة خاصة العربية، عن طريق استيعاب الآخر داخل ثقافتها، وقد شكلت هذه العملية موضوع اهتمام الروائي الجزائري، بوصفه المثقف النوعي في المجتمع، حيث حاول معالجتها و كشفها أمام أعين القارئ من خلال الوقوف على أسبابها و أخطارها و نتائجها، سواء بالتلميح أو بالتصريح، وقد تجلى ذلك أولا من خلال الروائيين الذي كتبوا باللغة الفرنسية من أمثال كاتب ياسين و مولود فرعون ومولود معمري ونور الدين بوجدرة وآسيا جبار...أو الذين كتبوا بالعربية وهم كثر منهم بن هدوقة والطاهر وطار و واسيني الأعرج ومحمد ساري و...

والخطر البارز في هذه السياسة الممنهجة هو عدم وعي الفرد الجزائري والعربي والإسلامي بقدرة الآخر على استيعاب مكوناته وتحويلها، من منطلق التأثير، فيتصور نفسه محافظا على هويته، في حين أنه لا يملك إلا إطارها العام الذي يشبه اللوحة المعلقة على الحائط للزينة، ولعل هذا راجع إلى عدم وعيه بمعنى الهوية أو لمعرفته الجزئية بها، والتي غالبا ما تقتصر على الجانب الديني بوصفه الجانب المقدس في الهوية، ولئن كان الجانب الديني هو أساس الهوية وأصلها الثابت، فإنه هناك فروعا أخرى لها نصيبها من الهوية والثقافة والانتماء، يتوجب على الفرد التنبه إليها منها الخصوصية التاريخية التي يمثل البعد الثوري فيها جزءا هاما من الهوية الثابتة والراسخة، هذا البعد الذي يحمل بداخله فسيفساء ثقافية بناءة، سواء ما ارتبط فيها بالموروثات والعادات والتقاليد، أو بالأفكار والقناعات والتحليلات العميقة للنخبة من الشعب، أو بالتجارب العميقة والمتصلة بالبيئة.

وبالحديث عن الروائي "بشير مفتي" -الذي هو موضوع المقال- يمكن القول أن هذا المبدع عبر عن حضوره الثقافي واستيعابه الفكري للحاصل الاجتماعي، من خلال أعمال روائية كثيرة منها رواية "المراسيم والجنائز"1998 "أرخبيل الذباب"2000، "بخور السراب"2004، "أشجار القيامة" 2006، "خرائط لشهوة الليل" 2008 "دمية النار"2010، أشباح المدينة المقتولة 2012، "غرفة الذكريات"2014 "، لعبة السعادة"2016، بالإضافة إلى مجموعات

قصصية منها "أمطار الليل"1992، حيث جاءت لتعبر عن عمق الشخصية المبدعة وتعالج المستوى الأخلاقي والإيديولوجي، الذي صارت تعيشه الشخصية الجزائرية، فالمتأمل للكتابة الروائية عند مفتي يمكنه اكتشاف مصدر الأنتلجنسيا الواعية له مباشرة ربطها بالمهنة التي كان يزاولها وهي الصحافة، حيث اشتغل بها مع نهاية الثمانينيات بجريدة الحدث الجزائرية، كما عمل مراسلا في جريدة الحياة اللندنية، وكاتب مقال بالملحق الثقافي لجريدة النهار اللبنانية؛ أي أنه لم يغادر البيئة الجزائرية وبقي متصلا بفكر أبنائها وبثقافتهم الراهنة، سواء على مستوى العنف المادي أو المعنوي، فالملاحظ أو الدارس لهذه الأعمال الإبداعية يكتشف سيطرة خطاب العنف المتصل بالثقافة و الهوية الجديدة على الوسط الجزائري، وظهور نوع من المعاناة تتحمله النخبة، لعل بشير مفتي أنهكه ثقل الأمانة فاختار الكتابة لتخفيف الحمل الثقيل، وتقاسم الشعور مع بقية الشخصيات.

لقد استطاع هذا المبدع أن يحمل الوطنية في أحلام تطاردها الشخصيات بغية إدراكها، ولكن أعداء الوطنية لم يتركوا لهم طريق في ذلك، فقد استغلوا كل ما هو مرتبط بالهوية البديلة التي مصدرها التغيير، وراحوا يشجعون عليها مستعملين وسائل غير مشروعة كالعنف اللفظي والجسدي، ولذلك فتوصيف مفتي للثقافة كان من باب الأزمة التي عصفت بالبلاد خلال فترة التسعينيات، وذلك بطرق باب الوطنية التي وجدناها في الرواية تتآكل يوما بعد يوم، بفعل الممارسات الحاصلة على مستوى السلطة أو على مستوى المعارضة، فالوطنية غابت واضمحلت تحت رحمة البحث عن الحكم من أجل الحكم، وليس من أجل الشعب، وهو سبب كاف لقتل الحياة داخل المجتمع الذي لخصه الروائي في موت النخبة المثقفة داخليا واستسلامها لقدر صنعه الجبناء والجهلاء والانتهازيين.

-ثقافة الشخصية الروائية الأفقية (المثقف البطل):

ويمكن لهذه الشخصية أن تتشكل من الراوي كشخصية مباشرة أو يندمج معها بوصفه صاحب الحكي، فتدور الأحداث ويتداخل الحكي بين المباشر والإحالي، ولعل أصعب ما يمكن أن يواجه الروائي في كل هذا هو تقمصه في بعض الأحيان لدور الشخصية البطلة ، حيث يفرض عليه نمطا محددا من التفكير يتماشى وثقافة الحوار، و لذلك يقول الروائي " بشير مفتي" في حديثه عن رواية " كل شيء ممكن" وهو يلخص صعوبة تمثل الشخصية داخل المتن الحكائي: " ما

أصعب أن تفكر كبطل في الرواية..."، لأن الفعل الإبداعي مرتبط بحركة ثقافية واعية ومحددة، يصعب تقمصها لارتباطها بالعفوية أكثر من أي شيء آخر.

فالشخصية البطلة دائما تمثل اللبنة الأساسية للعمل الروائي، بحكم أنها تميط اللثام عن المقصود والمصرح به، ولأنها تكشف مختلف الصراعات الثنائية التي يمكن أن تدور في الوسط الخارجي، كالخير والشر والعلم والجهل، والحق والباطل، وهي كلها تمثل أبعادا في الرواية، تجعل الراوي يراهن كثيرا على شخصيته الرئيسية داخل النسق التركيبي، فيغدق عليها من معين خياله المتشبع بروح الحقيقة والواقع لكي يصل إلى مبتغاه المقصود .

ويخشى الروائي غالبا عدم القدرة على الإحاطة بفكر الشخصية ومنه عدم القدرة على التبليغ، ويتمظهر هذا من خلال بعض الأعمال الروائية، التي يتكشف فيها ذلك الشرخ الفكري والمعرفي على مستوى الشخصية الرئيسية التي تقف عاجزة عن ربط الواقع بالمتخيل، مما يؤثر على "الهدف" المقصود والمتمثل في الحس الاجتماعي الذي ووجد من أجله، نقول هذا ونحن نعلم أنه لا يمكن إنكار البعد والارتباط الاجتماعي للرواية، برغم وجود بعض الأصوات التي تنادي بفك الارتباط بين الرواية والواقع، أو بين الواقع و المتخيل.

ويبدوا الواقع الثقافي للشخصية الرئيسية في الرواية الجزائرية، مشحونا بالجذور التاريخية والاجتماعية، من خلال رحلة البحث الهوية وتثبيت أركانها والمحافظة عليها داخل المجتمع، وهذا على مستوى الرواية المكتوبة بالفرنسية أو المكتوبة بالعربية، فقد سعى الروائي الجزائري دوما إلى توظيف الشخصية القادرة على مخاطبة الآخر وإقناعه، في سبيل الدفاع عن أسبقية الوجود الشرعي الفكري والمادي والثقافي والحضاري، وتوعيته بالمستوى المركزي الذي تقوم عليه المنطقة، معتمدا في ذلك على عامل الفكر قبل عامل اللغة، وذلك باستلهام التاريخ والدين والعادات والتقاليد، بوصفها ركائز الهوية في المجتمع الجزائري، متجاوزين في ذلك وضع اللغة إلى طبيعة الظروف الاستعمارية الكولونيالية، حيث مثلت الشخصية الرئيسية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية "الخوف من اجتثاث الجذور، وابتلاع المدرسة الفرنسية لأبناء الوطن"(12) وذلك عن طريق تغيير ثقافة الوجود والتقبل والاستيعاب الحضاري، وهذا ما عبر عنه كاتب ياسين، ومولود فرعون، ومولود معمري...

كما تحكي الشخصية الرئيسية في الرواية المكتوبة بالعربية، الواقع الاشتراكي الذي كرسه فعل الطبقة الاجتماعية، كاشفا عن معاناة الشخصية الجزائرية من التهميش والبيروقراطية بعد كل الذي عانته خلال المرحلة الاستعمارية، مثلما هو الحال في رواية " اللاز" للطاهر وطار، حينما حول البطل من طفل منبوذ إلى شخصية قوية و ثورية تخيط تفاصيل النضال الثوري مستفيدة من كلمات الوالد عندما يقول:" يجب أن نغير الحياة يااللاز يابني..عليك الآن أن تعمل في خط واضح ومن أجل هدف واضح ...سأتركك بعد قليل لألتحق بالجبل..سلم على أمك، واتصل بعمك ((حمو)) لتعمل معه، اعرف كيف تتصل.. كلمة السر ليثق بك هي هذه: ما يبقى فالوادي غير حجاره"(13). و بما أن الشخصية الرئيسية في الرواية هي الشخصية الواعية والمفكرة، فإن دورها كما يرى "علي حرب" لا يتوقف فقط عند حراسة الهوية والتعبير عن جانب من الثقافة، بل يتعداه إلى صناعة الأفكار التي تطور الهوية "فالمفكر ليس حارسا للثقافة والعقيدة وليس وصيا على الهوية والأمة، إنه صانع أفكار، أو صانع إشكالات"(14)، والروائي هو جزء من هذا النظام الفكري المستخلص من إحداثيات الواقع، والمعبر عنه بالشخصية الرئيسة، ولعل هذا ما حرك الغريزة الإبداعية عند "عبد المالك مرتاض" في روايته "نار ونور" عندما طرح تعلق الطالب الجزائري بالنضال الثوري و إيمانه بنصر المبين، مما جعله يلتحق بصفوف الثورة لحماية الهوية، وهذا ما يجسد حالة من الوعي التام عند المثقف الشاب بما يدور حوله من أحداث و صراعات، كما قدم "محمد العالي عرعار"، في روايته " الطموح" صورة عن المثقف الجزائري الذي يؤمن بالحرية، نتيجة وعيه الفكري بضرورة مقاومة الاستعمار، فوضع نصب عينيه مقاومة المستعمر هدفا له إلى غاية وفاته واستشهاده فجر النصر.

كما تعتبر ثقافة الشخصية البطلة في رواية "ذاكرة الجسد" مثالا لفعل الأنا المجسد للهوية، فهو يحمل أعباء الكاتبة وهمومها من خلال شخصية "خالد طوبال" المثقف والرسام التشكيلي الذي يروي إلى الفتاة "حياة" أحداثه التي عاشها في شكل صراع بين المذكر والمؤنث، فاعتبر الكثير من الدارسين الرواية منازلة على طريقة الفرسان، وجها لوجه، رصاصة مقابل رصاصة، فالراوي خالد بن طوبال يحكي لنا عن حياة الكاتبة وعن روايته منعطف النسيان، وكرد على النسيان تنهض الذاكرة، كشاهد على اختلاف المعايير، لأنه بالذاكرة نعيد صياغة الواقع، ووضع

أفعال الآخرين موضع مساءلة، كما أن تفسير الشعور وفق المنظور التاريخي من شأنه إنعاش الراهن بما يحمله من قيم وانجازات و انتصارات.

ولعل دور البطل الراوي في الذاكرة هو فضح الهوية الخفية للجانب المؤنث والمتخفي وراء حجاب اللغة، مثل قوله:" أم تراك لبست القناع فقط لترويج لبضاعة في شكل كتاب، اسمه منعطف النسيان. بضاعة قد تكون قصتي معا وذاكرة جرحى"(15). وهنا تتمثل لنا أزمة العلاقة بين الهوية والنسيان أو الذاكرة والنسيان بمفهوم "علي حرب" الذي يعبر عن صناعة الهوية و توليدها، بدل تقديسها وتوريثها، من خلال سلطة المؤنث الذي لبس قناع الذكورة، لأن "حياة" خرجت عن نطاق الارتباط في الرواية، بغرامها بالحقوقي الفلسطيني بذل المناضل الجزائري الذي تكفل برعاية عائلتها، وهي كلها تمثل أزمة عاطفية وانفعالي قوية، ترتبط بالامتداد للآخر الذي يمكن أن يشكل جزءا من هويتنا، بفضل الفاعلية والمعايشة.

وتعبر الشخصية الرئيسية "مريم" في رواية سيدة المقام عن المستوى الثقافي المتدني الذي تعيشه بعض الفئات في المجتمع، وهي الفئة المتعصبة التي أو المتطرفة، والتي كانت ترى في الرقص كفرا بالله، والحرية الشخصية في العبادة والممارسة باطلا، تماما مثلما رأت في القتل حق مشروع منحهم الله أياه للحكم على الناس، ولهذا فالملاحظ في بناء الرواية، أن الشخصية البطلة اتسمت بالوعي والقدرة على التساؤل واستيعاب معنى الحياة ، فهي عندما تصرح وتقول :"سنة كاملة تمر عندما شقت رصاصة طائشة أو غير طائشة رأسي، تقول مريم، وهي تحاول أن تمسح أحزانها المفاجئة"(16)، إنما تحيلنا إلى ثقافة الشك واليقين، وإلى صراع قائم على الفساد و العنف، خاصة وأنها تنهي خطابها بلفظة "غير طائشة" وهي تعبير عن اليقين المتصل بالقتل والتطرف وغياب الوعي.

إن الشخصية الرئيسية في "سيدة المقام" استطاعت -كما في باقي الروايات الجزائرية- أن تحيلنا إلى الواقع، تماما مثلما استطاعت أن تسيير الشخصيات المساعدة وفق نسق بنائي متكامل، ومعبر عن درجة الوعي المتفاوت بين الناس، حيث أن ثقافة مريم لم تكن من العدم وإنما هي نتيجة حتمية للاحتكاك الاجتماعي المتصل بالأنا الداخلي، و ذلك المرتبط بالآخر الغربي، فالوعي الثقافي مركب وليس فردي، وهي خاصية جوهرية في ثقافة الشخصية، التي قلنا عنها في البداية أنها فعل جمعي وليس عملية فردية مستقلة بذاتها.

وتحمل رواية "**بخور السراب**" أزمة حقيقية للمثقف الجزائري المعاصر في علاقته بالذات و الجماعة والآخر، من خلال صورة البطل المحامي، الذي حمّله الروائي "بشير مفتي" كما من الهموم و التحديات سماها الأمانة، وهي أقصى ما يمكن أن يمتلكه أو يحمله المثقف داخل قراراته، حينما عارض السلطة الحاكمة وعارض معها المعارضة المتدينة؛ لأن التغيير الذي كان يحلم به هو احترام الإنسان للإنسان، وتحقيق الحريات الفردية والجماعية، والمحافظة على الأمانة التي دافع عنها الأجداد، ولكن هذا كله لم يعد ممكنا، لذلك كان يسخر من كل القيم السائدة؛ لأنها تمثل حالة من الزيف والكذب والنفاق، وكان لا يرى الحقيقة إلا في حب ميعاد الذي هو رمزا للصفاء والطهارة والنقاء؛ لأنه حب متصل بالأرض والحقيقة والحياة والجماعة، فالبطل الذي اختاره "مفتي" استوعب الإرهابي والسياسي والمثقف والجاهل والعالم والحقوقي، فراح يبني وينسج حياته بحياة المحبوبة المتصلة بالأرض والوطن؛ لأنها مثلت له قاربا للنجاة من هذا العباب المتلاطم وهذا المأزق المفجع، فكان انهزامه هو موت ميعاد الذي قطع به صلته بهذا الوجود القاتم فتجده يردد :" اليأس وعدم الفهم وأحاسيس تتداخل مع موجة الغضب والشعور بالاستيلاب، ميعاد الصوت الرهيف كقصيدة شعر، الوجه المرتفع بكبرياء النظرة الجريحة، تلك كانت اللحظة الأساس للمقاومة، ولم لا؟ إنها الشعور بالجدوى"(17).

وقبله كانت بداية الاستسلام للقيم البديلة الفاسدة عندما وافق على احتساء الخمر مع صديقه عندما خاطبه: "هل أدعوك لشرب بيرة؟ كدت أقول (أنا لا أشرب) لكنني قبلت الدعوة .كانت تلك هي أول مرة أشرب فيها الخمر وأدخن السجائر، وأنسى موضوع رأسي من قدمي"(18) فالهزيمة مثلت أزمة حقيقية في وجه الشخصية الوطنية التي تبحث عن نفسها وعن مجتمعها وسط هذا العالم الكثيف وهذا الزحام المهلك، الذي كان ضحاياه ممن دافعوا عن وطنيتهم حتى النهاية ومن ذلك الأستاذ الجامعي الذي لم يستسلم للتهديدات التي كانت تصله إلى الحرم الجامعي وظل يقاوم ويقدس مقامه إلى أن اغتيل ذات يوم على يد أعداء الهوية و الوطنية و الاعتدال و المعرف و... وهو الذي رفض الهروب " مدير الجامعة بنفسه منحني عطلة مدفوعة الأجر:

لا تتأخر في الهرب.

لم أفكر في الهرب، بل لن أهرب. هذا هو قراري

..كانت آخر رسالة موقعة من طرف حداد..بعد أسبوع من اختفاءه كانت صورته على الصفحات الأمامي من كل الجرائد. فكرت في كل شيء ما تأكدت من مقتل حداد"(19)، ومن بعده ميعاد التي رفضت الهرب هي الأخرى لما طلب منه المحامي ذلك لتجد نفسها مقتولة بيد من أحبت،" أخبرته .. أن الجزائر تغرق وأن الحياة التي ننشدها ستموت إن لم نهرب، فجأة وصلني صوتها العميق، صوتها الداخلي المجروح: لا لن أهرب.. لن أمنعك من الهرب إن أردت ولكن أنا لن أفعل ذلك"(20) فالنهاية صارت مرتبطة دوما بالفشل أو الموت، الذي حمل طابع التحدي و الضعف المصاحب لعدم القدرة على تغيير وضع مأساوي، وهي دلالة على نوع من الاستسلام مع البقاء أو التشبث بالأرض و الهوية وبحالة الاغتراب " ولهذا يعبر المحامي عن شعوره بالاستسلام مستعينا بنوع من الانزياح اللغوي و الفكري" أنا كالدودة الميتافيزيقية تبحث بلا جدوى عن رأس الخيط.. الخيط الذي تلاشى.. ضياع في العدم.."(21).

فالبطل مثل حالة من انهزام المثقف الواعي للدلالة على عمق الأزمة، لأنه عندما تغيب النخبة المثقفة من المشهد السياسي و الاجتماعي و الفكري وتحدث القطيعة، تتشكل الأزمة كتيار عاصف يقتلع كل الأسس، وتتحطم الطموحات، فالرواية عبرت عن اللاجدوى وعن العبثية و الفوضى، كما عبرت عن انسداد الأفق، وتشتت الذات أمام وضع متغير نحو الأسوأ، ولذلك فلا عجب –كما يصور النقاد- من أن "ما تردد في روايات التسعينات تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجين بين نار السلطة و جحيم الإرهاب، وسواء كان أستاذا أم كاتبا أم صحفيا أم رساما أم موظفا، فإنهم يشتركون جميعا في المطاردة و التخفي وهم يشعرون دوما أن الموت يلاحقهم"(22).

فالعلاقة بين الفرد و وطنه تحولت إلى شيء من الطبيعة الأسطورية، بحكم التباعد الحاصل بينهما في الواقع، لذلك عندما قرأ المحامي رواية نجمة لم يستحضر الوطن وإنما استحضر ماضي الوطن وهي قمة الهوية المفقودة على مستوى الذات في علاقتها بوطنها، هذه الوطنية التي انهارت بفعل المعاملات المستفزة والعنيفة في وجه كل مطالب ببناء الوطن.

04–الشخصية المساعدة و أزمة الصراع الثقافي:

إن ما يعمل عليه الروائي هو تجنيد عدد من الشخصيات المساعدة في المستوى السردي لضمان تمثيل الوعي الثقافي للجماعة من خلال إظهار الفروق الفردية والاستعدادات الفطرية،

بوصفها عاملا حاسما جهاز التحاور، فيجتهد الروائي دائما في خلق نوع من الانسجام الفكري والثقافي بين هذه الشخصيات والشخصية الرئيسية في الرواية، لأجل تعزيز الموقف والكشف عن تفاصيله.

فالوصول إلى المجتمع لا يعتبر شيئا سهلا في العمل الروائي، إذ يتطلب حضورا ثقافيا متميزا للجماعة، ومستوى عال من البناء الفكري وكذا الحضور التاريخي و الديني و السياسي و العرفي، فالشخصية الورقية هي بمختلف تموضعاتها هي عنوان الهوية الخارجية للمجتمع الواقعي، ومادامت كذلك فإنه يتعين على المبدع أن يكون على دراية تامة بكل الأصول و الفروع، وعلى دراية بالنص الماضي المتمثل في الماضي التاريخي للجماعة، و النص الحاضر المتعلق باللحظة الآنية.

وهنا يمكن القول أن الروائي الجزائري راهن كثيرا على الشخصية المساعدة داخل العمل الروائي، للتأثير على الجماهير في سير العمل الروائي خاصة الجماهير المثقفة و المتعلمة، نقول هذا ونحن نعلم كما يقول أمين الزاوي: مستوى "المثقف المحلي"(23).وتفاعله مع الفكر المطروح وتناسبه مع الشخصيات المساعدة "لتجنب التسطيح المعرفي و الجمود الفكري، و الضيق في الرؤية الثقافية بسبب الانعزال عن التطورات الحاصلة في الحقول المعرفية"(24)، فضيق الرؤية واتساع الخيال لا يساعد المبدع في تحريك الجمهور، أما اتساع الرؤية واتساع الخيال معا فهو ما يحقق الغاية و القصد.

وانطلاقا من مبدأ التشارك والتقاطع بين الشخصية الرئيسية والشخصيات الثانوية كان حضور المثقف المساعد في الرواية الجزائرية بارزا، برغم النقص الفني الذي ميز بعض الأعمال في المشاكلة بين الواقع والمتخيل، فقد كشف الروائي الجزائري عن عمق الأزمة السياسية والأيديولوجية، وأظهر حالة من التيه والضياع الذي تعيشه الشخصيات داخل مجتمعها الحقيقي والافتراضي، وذلك من خلال عوامل متعددة من أبرزها الخوف والشك والغياب، والحضور، والمغالطة، والوعي الغائب، والجهل، والبحث عن الذات وسط زحمة الآخر، فاستحضر بذلك قاعدة الروائي الفرنسي "ماركيز"MARKIZ" الذي قدم للقارئ الفرنسي خصوصا والعالمي عموما "صورة عن شخصياته الروائية وعلاقاتها وصراعاتها فيما بينها وبين مجتمعها، واستطاع تبيان هواجسها، والغوص في أدق دقائقها، من تفكير وإحساس، ومكنونات نفسية"(25).

ففي "سيدة المقام" كانت "آناطوليا" الشخصية المساعدة التي أسهمت في رسم المستوى الثقافي للشخصية البطلة بزرع ثقافة التحدي و الصمود الدفاع عن الرأي، وكذا مقاومة الموت والتشبع بالحياة " أشعر أحيانا أن آناطوليا أعطتني من الحب، أكثر مما أعطتني أمي"(26)، وفي رواية " على الضفة الأخرى من الوهم" للروائي "حبيب مونسي" كانت الأم المحرك الفعلي لوعي الشخصية والدافع الحقيقي لخلق الارتباط الجديد بالأرض والوطن، فاكتملت خيوط الرواية بعودة الأم للقرية ودفنها بين أهلها، وحمل البطل عبد الرحمن رسالتها ورسالة أجدادها، وهي التي "فقدت الأب والأم أيام الثورة، وأن أخاها تكفل بالعائلة من بعدهما... "(27)، فكان المثقف المساعد حمالا للدلالة ومركزا للأحداث وعاملا في بناء الخطاب والشخصية.

ولأجل الواقع والشخصية والثقافة حاول "بشير مفتي" بسط حضور متكامل وواعي للشخصية المساعدة داخل "بخور السراب"، حيث عمل على توظيف عدد الشخصية التي كان لها حضور متفاوت في المعرفة والفكر والوعي، ليجسد بها حالة التكامل الطبيعي والفني والثقافي للأحداث -فخالد رضوان أحد الشخصيات المساعدة في الرواية- ينتمي إلى الفئة المثقفة والجامعية، التي تؤمن بالتغيير لكنها عندما عبرت عن ذلك جاءها الرد من البوليس، الذي ألقى القبض عليه وحوله إلى الكوميسارية (مركز الشرطة) للتحقيق والاستنطاق " أخذوك إلى السجن، بت ليلة واحدة، صفعتان، ثلاث. أحسست بالإهانة، بالدم يغلي في عروقك. أخمدوا أنفاس ثورتك القادمة. لم تبكي ثم بكيت بعيدا عنهم"(28)، تماما مثلما حصل مع المحامي الذي حركته أمانة الوطنية في البناء والالتصاق بالأرض وبإرث الأجداد فعاد إلى قرية المعزوزية لإعمارها وإعادة بناء قبة الشيخ المعزوز فكانت النتيجة إحراق القبة من طرف أعداء البناء ليشتعل الصراع من جديد بأكثر شراسة وعنف " و القبة كيف حالها.. فنظرت ،كان خيط الدخان يرتفع إلى السماء. لقد أحرقوها في الليل وبات الرصاص يلعلع طوال هذه الليلة، سينتقمون حتما من هذه القرية، لقد أيقظت فيهم أعظم الشرور"(29).

إن هذا التشارك بين الشخصية المحورية والشخصية المساعدة هو تعبير عن المشاركة الثقافية، كما أنه دلالة صريحة على تكامل الأفراد اجتماعيا، وأما فنيا فقد ساعد هذا التشارك الثقافي على بلورة الحقيقة ونسج خيوط الرواية وفق ترتيبها الجمالية والموضوعية، والأكيد أن خالد رضوان قد عبر عن المستوى الفكري والثقافي للطالب الجامعي الجزائري خلال فترة الثمانينات والتسعينيات،

وهي ثقافة التغيير والبناء والنهضة، لكن ليس بطريق العنف والتطرف، فيقول عن نفسه:"بالفعل أنا لست نبيلا، والدي توفي من أجل هذا البلد وأنا أكلت الخراء من أجل العيش، وأنتم تتنعمون وحدكم بالخيرات، لا لست صالحا لكم ولو كان بيدي لقتلت الجميع وأحرقتكم بالنابالم، هل تفهم؟"(30)، وهي نبرة حادة تعبر عن مستوى الوعي الاجتماعي، وعن حالة الشخصية الجامعية النخبوية التي لم تعد تثق في الوسط الجديد بعدما ضاقت درعا بالممارسات السلطوية البالية، التي كرست الفساد والتخلف والقطيعة مع الإرادة الجماعية.

ويظهر مستوى وعي الشخصية المساعدة على مستوى خالد رضوان في طرحه للنظرة الاجتماعية الساذجة والباحثة عن التغيير فقط، دون البحث في ماهيته ونتيجته" ستقولون إن الشارع معهم ..إنه معهم بالفعل. لقد انتخبهم لأن هذا الشعب لا يدرك خطرهم ولا يهمه أن نتقدم، هذا الشعب صار عدو الحرية والديمقراطية لأنهم صنعوا منه شعبا غرائزيا يحلم بالآخرة أكثر مما يحلم بالحياة"(31)، فهذه النظرة تعبر نوع من التفتح الفكري والقدرة الذهنية على تأويل الواقع والحياة، إذ أن كل كلمة يطلقها خالد تحمل معان عميقة وحقائق منطقية وقناعات راسخة، لعل هذه القناعات هي التي قتلت الحب الذي جمع سعاد آكلي وخالد رضوان فقد انتهى إلى عالم الزوال والفشل، لأن المجتمع بنظرته الذكورية التي لم يترك مجالا للحب كي يعيش، فراحت سعاد تنتقم من هذه النظرة السلبية عن طريق بيع الجسد الذي لم يعد يساوي شيئا وكأنها تقول أن قيمة الإنسان هي في روحه وليس في جسده

وأما الشخصية المساعدة الثانية "ميعاد"، فبالرغم من حضورها المحوري المتصل دوما بالبطل، إلا أنها مثلت عاملا من عوامل كشف الشخصية البطلة، وأداة من أدوات التعبير عن الزخم الثقافي للمرأة الجزائرية، فقد عبرت عن المرأة البسيطة والطموحة والمتشبثة بالحياة، "عامان كانا كافيان لإقناعي أن الحياة يجب أن تستمر، وأنا سعيدة لأنني أستمر بها معك أنت الذي تحمل شيئا من نبل طاهر سمين ، شيئا من روحه السامية، وأفكاره المبدئية وهذا ما يجعلني أقولها بكل فرح: أحبك"(32)، لكنها اصطدمت بحضور ثقافي وفكري مخالف جعلها تفقد كل معالم السعادة، وينتهي بها المطاف مقتولة على يد زوجها.

لقد صور مفتي –بواسطة الشخصيات المساعدة– الموت في المجتمع الجزائري كظاهرة ثقافية، ومكن القارئ من استيعاب الحاصل الاجتماعي، فكانت النهاية دائما هي موت الوطن والحياة،

فيقول حداد –الشخصية المساعدة الأخرى في الرواية- مخاطبا المحامي بكثير من الحسرة والألم:"الطالبة التي تحدثت لك عنها منذ شهور، و التي ترك منظرها في قلبي آلاما كبرى، سمعت أنها انتحرت، ولقد شيعت جنازتها منذ أسبوع، لقد بكيت كالجرح وكدت ألطم خدي بالنواح كالندابات. إنه لشيء مفزع ما يحدث ببلادنا، مفزع للغاية"(33)، وهي صورة قوية عن علاقة الشخصية الورقية بالشخصية الحقيقية، وعن علاقة المرأة بالوطن، وكذا عن علاقة الحب بالحياة، لذلك نجد البطل يربط تعاسته بموت والدته "توفيت أمي ذات يوم على الساعة الثانية ليلا دون أن نفطن لذلك، لم نعرف سبب موتها ولم أسأل والدي الذي يعتبر الموت حكمة وامتحانا؟ لفترة طويلة بعد غيابها بقيت وجها لوجه معه، كبرت معه، كنت أحس بالاختناق و العدم لأنه نادرا ما يتكلم"(34).

الخاتمة:

إن هذا النسيج الفني ليس كتابة إبداعية قائمة على المتعة الفنية والمبارزة اللغوية التي كثيرا ما يتباهى بها الكتاب والشعراء والمبدعون، وإنما هو تصوير عقلي وبناء موضوعي للحياة وللشخصية الجزائرية، إنه كشف للوعي وتعبير عن الروح، وإثبات للوجود، إنه رحلة الروائي الجزائري في سراديب الواقع المهمل والمغيب، حيث العتمات تغلب على كل فضاء، والأكيد أنه استطاع أن يكشف عن حضور الشخصية الوطنية وعن موقفها من تفاصيل الوجود، كما تمكن من كشف الإسهام الحقيقي للوعي الفردي والجماعي في سبيل البقاء، فالثقافة ليست شعورا وفنا أو كتابة بقدر ما هي عمل متمثل في الواقع.

الهوامش:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الملقب ابن منظو: لسان العرب، ج03، حرف الثاء، مادة ث ق ف، دار صادر، دط، 2003.
2. ليندة مسالي: إشكالية المتخيل السردي في الرواية النسوية الجزائرية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، دار الأمل، تيزي وزو، العدد04، 2009، ص121.
3. إبراهيم محمد عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية 1990-1996، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن – فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط01، 2008، ص124.

4. GRAMSCI antonio. Gramsci don le texte-edits sociales. 1975.p609.
5. أمين الزاوي: عودة الأنتلجنسيا – المثقف في الرواية المغاربية، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط01، 2009، ص11.
6. المرجع نفسه: ص ن.
7. الطاهر وطار: الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007 ، ص27.
8. عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص74
9. المرجع نفسه: ص ن.
10. أمين الزاوي، عودة الأنتلجنسيا، ص 13.
11. المرجع نفسه: ص14.
12. المرجع نفسه: ص20.
13. الطاهر وطار : اللاز، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع – الجزائر، 1974، ص74.
14. -علي حرب: الماهية والعلاقة/ نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1998، ص92.
15. أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، موفم للنشر، الجزائر، دط، 1993، ص22.
16. واسيني الأعرج: سيدة المقام- مرثية اليوم الحزين، منشورات الجمل، ألمانيا، ط01، 2013، ص33.
17. بشير مفتي: بخور السراب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2007، ص97.
18. المصدر نفسه: ص44.
19. المصدر نفسه: ص116-117.
20. المصدر نفسه: ص118-119.
21. المصدر نفسه: ص43.
22. حسين خمري: فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص 191.
23. أمين الزاوي: عودة الأنتلجنسيا، ص23.
24. المرجع السابق: ص ن.
25. صباح شنيب: الرؤية الجزائرية اسئلة البحث عن التشكل و الهوية، مجلة الجزائر الجديدة، 2012/05/29، ص 02.
26. واسيني الأعرج: سيدة المقام، ص81.
27. حبيب مونسي: على الضفة الأخرى من الوهم، دار الغرب، وهران، الجزائر، 2002، ص130.

28. بشير مفتي: بخور السراب، ص08
29. المصدر نفسه: ص 174.
30. المصدر نفسه: ص41.
31. المصدر نفسه: ص ن.
32. المصدر نفسه: ص139-140.
33. المصدر نفسه: ص113.
34. المصدر نفسه، ص24.